The Science of Jurisprudence in the Islamic East (132-656 A.H/ 749-1288)

Asst. Prof. Maha Waddah AbdulAmeer, (Phd.)
Baghdad University- Ibn Rushd College of Education for Human Sciences/Department of History
Maha.waddah@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i143.3893

ABSTRACT

The title of the research is the science of jurisprudence in the Islamic East (132-656 A.H/ 749-1288).

Study Contents: The First topic the science of jurisprudence and jurists in the Islamic East. The Second topic: The Science of jurisprudence and jurisprudence Schools in the Islamic East. The third study: Figh flags in the Islamic East.

The Science of jurisprudence is one of the most important human Sciences that Arab Muslims Knew because of its Connection with Islamic law and Consequently its Conuection to People's daily lives.

Several Secs appeared in the Islamic East that were associated with the Science of jurisprudence, Suchas the Shiite, Hanafi and shafi'I Sects, and the shafi'I Sect was the most prevalent of these Sects in the Islamic East. The Science of jurisprudence was in fluenced by these schools of thought, as it ranged between the caliphs and the Abbasid leaders between ebb and flow.

It is worth noting the emergence of agroup of the most Famous Scholarls in the fild of jurisprudence in the Islamic East at that time, Such as Al-Matridi, al- Ghazali, Al- Shashi and others. The Studied and thaught in major Schools, as well as Compiled major works that coutituted an important resource of human. Heritage.

Keywords: The Science of jurispru dence, denominations the Islamic orient.

علم الفقه في المشرق الإسلامي (١٣٢-٦٥٦ هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م)

أ.م.د. مها وضاح عبد الأمير
جامعة بغداد/ كلية التربية-ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

(مُلَخَّصُ البَحث)

عنوان البحث: علم الفقه في المشرق الإسلامي (١٣٢-٦٥٦ هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م).

محتويات الدراسة:

المبحث الأول: علم الفقه والفقهاء في المشرق الإسلامي.

المبحث الثاني: علم الفقه والمذاهب الفقهية في المشرق الإسلامي.

المبحث الثالث: أعلام الفقه في المشرق الإسلامي.

يُعدّ علم الفقه من أهم العلوم الإنسانية التي عرفها العرب المسلمون لارتباطه بالشريعة الإسلامية وبالتالي ارتباطه بحياة الناس اليومية فأصبحوا بحاجة إلى معرفة احكام شريعتهم وذلك لا يتم الاّ بالرجوع إلى علم الفقه.

لقد ظهرت في المشرق الإسلامي مذاهب عدّة ارتبطت بعلم الفقه مثل المذهب الشيعي والحنفي والشافعي وكان المذهب الشافعي أكثر تلك المذاهب انتشاراً في المشرق الإسلامي وقد تأثر علم الفقه بتلك المذاهب ، إذ كان يتراوح بين الخلفاء والقادة العباسيين بين مد وجزر.

من الجدير بالذكر ظهور طائفة من أشهر العلماء في مجال علم الفقه في المشرق الإسلامي في ذلك العصر مثل الغزالي والماتريدي والشاشي وغيرهم قاموا بالدراسة وتولوا التدريس في المدارس الكبرى، وألّفوا المصنفات الكبرى التي شكّلت مورداً مهماً من موارد التراث الإنساني.

الكلمات المفتاحية: علم الفقه، المذاهب، المشرق الإسلامي.

المقدمة

يُعدّ علم الفقه من أهم العلوم الإنسانية التي عرفها العرب المسلمون وذلك لارتباطه المباشر بالشريعة وبالتالي ارتباطه بحياة الناس فهم كانوا ولازالوا بحاجة إلى معرفة أحكام شريعتهم وذلك لا يتم إلاّ بالرجوع إلى علم الفقه.

وفضلاً عمّا تقدم فإنّ علم الفقه من أهم العلوم في المشرق الإسلامي إذ أنّه كان واسع الانتشار فضلا عن وجود المدارس الشهيرة التي قامت بتدريس هذا العلم في ذلك القصر،

وخروج طائفة من العلماء المشهورين اشتغلوا بهذا العلم فقاموا بدراسته وتدريسه للطلبة سواء في داخل المشرق الإسلامي أم خارجه ، فتركوا بذلك آثاراً خالدة للعالم الإسلامي في هذا المجال.

المبحث الأول

علم الفقه والفقهاء في المشرق الإسلامي

الفقه لغة واصطلاحاً:

لغة: الفقه العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم.

اصطلاحاً: هو علم الشريعة، والذين لهم علم به يسمون فقهاء. (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، ص ٥٢٢).

والفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة وما نصّبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قُبل لها فقه. وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم، وهذا الاختلاف ضرورة (ابن خلدون، ١٩٨٨، ص ٥٦٣).

إنّ الفاء والقاف والهاء أصل واحد يدل على ادراك الشيء والعلم به، نقول: فقهتُ الحديث افقههُ، وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيها وإذا كان الفقه في الأصل بمعنى العلم بالشيء والفهم له فقد غلب على العلم بالشريعة لسيادته وفضله على سائر أنواع العلم، حتى صار ذلك عرفاً خاصاً، فلا يطلق الفقه إلاّ على الفهم في الدين وما من شيء يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال سواء أكان من أنواع العقود أم من التصرفات الأخرى في العبادات والمعاملات والجرائم الاّ وله في الشريعة الإسلامية حكم بيّنته نصوص الكتاب والسنة، أو أقامت الشريعة له إمارات ودلائل يستنبطها المجتهدون ، وإنّ الحكم ومجموع هذه الأحكام هو الذي يسمى بالفقه ، فالفقه هو مجموعة الأحكام الشرعية العملية المستفادة من أدلتها التفصيلية، وموضوع علم الفقه هو فعل المكلّف من حيث ما يثبت له من الأحكام الشرعية. (القطان، ٢٠٠١، ص ١٨٣).

موضوع علم الفقه:

الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبعامة فإنّ كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول. ومن المعلوم إنّ الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلّم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً ومن تكلّم في الطاعة والشريعة كان فروعياً، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه. (الشهرستاني، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٠).

تاريخ علم الفقه في المشرق الإسلامي:

في مجال التاريخ السياسي للمائة الثالثة، والرابعة، وتحديداً في أيام الخليفة المعتصم (٢١٨ هـ/ ٨٣٣م) تحولت العصبية الفارسية إلى عصبية الموالي من الترك، واستولى الترك على الدولة العربية، فزاد اختلاط اللغة وهو أعظم سبب في انحطاط الفقه وإن بقى للعرب انتشار اللغة المختلطة والرئاسة الدينية للخلفاء، ولم يبق بيد الخليفة إلاّ الأمور الرسمية، وأبّهة الخلافة والقصر في القصر، وتم ذلك في دولة الخليفة المستنصر (٢٤٧ هـ/ ٨٦١م) ، وكان حصل افتراق آخر أيام الرشيد (١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) قبل ذلك ، إذ اعترف بدولة بني أمية في الأندلس (١٣٨-٧٥٦هـ/ ٤٢٢-١٠٣١م)، وأعطى الاستقلال الداخلي لبني الأغلب اختياراً منه بل زرع جذور دولتهم بيده ، وجعل الإمارة منهم وراثية ، إذ عجز عن اخضاع خوارج افريقية. (الثعالبي، ١٩٩٥، ص١٤).

صارت الخلافة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تدعّيها ثلاث دول عظمى: بنو العباس الذين هم تحت سيطرة الديلم في بغداد والشيعة في مصر وافريقيا والحجاز والشام وبنو أُميّة في الأندلس وكل هذا مؤثر في الفقه لانقطاع الصلات بين هذه الأقطار بالحروب، ولا سيّما إنّ العلم كان نامياً بالراحلة وحصول السباق بين علماء أقطار الإسلام فتحوّل ذلك إلى النزاع السياسي، وانتحل كل خليفة من الخلفاء الثلاثة مذهباً يخالف غيره فأصبح الفاطميون يوجهون دعاتهم من الشيعة لنشر مبادئهم ضد بني العباس وبني امية وكانوا يجعلون قاضي القضاة بمصر على مذهبهم الذي هو مذهب الإسماعيلية يقسم المواريث، بعقد الزواج وغيرها، كذلك جعلوا مرتبات ممّن يدسه وينشره قصدا لنشر الدعوة، وقد اضافوا إلى ذلك عمل داعي الدعاة واعوانه ليجذبوا الجمهور إلى التمذهب بمذهب الإسماعيلية ضد مذهب مالك الذي عليه بنو أُمية وأبي حنيفة والشافعي الذي كان عليه بنو العباس، وكان عملهم كله هباء لأنّ هذه المذاهب حلّت من الجمهور في العمق كان محمود بن سبكتكين ونظام الملك في العراقيين على مذهب الشافعي ينشرانه ويتعصبان له، وعلماء الأندلس بل وعلماء القيروان وافريقيا ينشرون مذهب مالك وعلماء هذه المذاهب دائبون على نشرها لم تؤثر فيهم تلك العوامل سوى التفرقة والبغض واصبح بنو العباس وبنو أُمية يطعنون في نسب الفاطميين ويحكمون بابتداعهم بل بكفرهم، وتوجيه الدعاة ونشر الدعوة موجب لقطع الصلاة موجب لتفرق آراء العلماء وكل ذلك مؤثر في الفقه تأثيراً عظيماً ومن التعصب السياسي نشأ التعصب المذهبي وبه تأيد (الثعالبي، ١٩٩٥، ص ١٥-١٦).

وفي المشرق الإسلامي كان للفرس أثر بارز في الحياة العلمية مثل النحو والفقه والتفسير وعلم التاريخ (حسن، ١٩٧٢، ص ١١٤). وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ان حملة

العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم ... وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته. (ابن خلدون، ١٩٨٨، ص ٤٧٧) .

لقد نشأ عن دراسة القرآن والحديث وتعرف معانيهما الخاصة الحاجة إلى تعلم النحو واللغة، وتطلّب فهم اللغة العربية دراسة الأنساب والتاريخ التي ما لبثت أن أصبحت على مرّ الزمن علوماً مستقلة. كذلك عكف المسلمون على تفسير القرآن وحذا حذوهم في ذلك بعض التابعين. ولم يكن تدوين الحديث شائعاً في القرن الأول الهجري غير إنّ الناس أقبلوا منذ مستهل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على جمعه وتدوينه، حتى أصبح المحور الذي تدور فيه الحركات العلمية في الأمصار الإسلامية على أنّ اختلاف أئمة الفقه في فهم بعض النصوص الفقهية واستنباط الأحكام منها قد أدى إلى تعدد المذاهب. واشتهر من هذه المذاهب أربعة هي مذهب مالك إمام أهل الحجاز وزعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة أهل الحديث، ومذهب أبي حنفية إمام أهل العراق وزعيم الذين يأخذون بطريقة الرأي والقياس، ومذهب الشافعي، وكان يسير أولاً على طريقة أهل الحجاز، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين، ومذهب أحمد بن حنبل، وكان من كبار المحدثين واختص هو وأصحابه بالمذهب الحنبلي الذي يبعد عن الاجتهاد ممّا أدى إلى قلة عدد المتمسكين بمذهبه. (حسن ، ١٩٥٨، ص ٢٨٧).

فضل علم الفقه:

لا علم بعد العلم بالله وصفاته أشرف من علم الفقه ، وهو المسمّى بعلم الحلال والحرام وعلم الشرائع والأحكام له بُعث الرسل وأُنزلت الكتب إذ لا سبيل إلى معرفته بالعقل المحض من دون معونة السمع. (الكاساني، ١٩٨٦، ص ٢).

تعلُّم علم الفقه في المشرق الإسلامي:

الفقه من العلوم التي يتعلمها البشر، حكى عن الإمام الشافعي (رحمه الله) انه قال: " العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطب للأبدان، وما وراء ذلك بلغة مجلس". (الزرنوجي، بدون تاريخ، ص ١٤).

ولتعلُّم الفقه أهمية، فإنّ المبتدئ في طلب العلم ينبغي له أن يأخذ من كل علم طرقاً ويجعل علم الفقه الأهم ولا يقصر في معرفة النقل فيه تبين سير الكاملين، وإذا رزق فصاحة من حيث الوضع ثم أضيف إليها معرفة اللغة والنحو فقد هذب لسانه. ومتى أدى العلم لمعرفة الحق وخدمة الله تعالى فتحت له أبواب لا تفتح لغيره. (ابن الجوزي، ٢٠٠٤، ص ١٩٠).

ومن الأمور المؤثرة في تعلّم الفقه في المشرق حدوث مادة الكاغد، إذ إنّه في زمن الدولة العباسية اخترع الفضل بن يحيى البرمكي(*١) أوراق الكاغد أو الكاغيط، وكان استعماله في الرسائل الرسمية أيام الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ هـ/ ٨١٣م) وفي أيامه كتبت به الكتب ، وكان من أعظم التسهيلات لنشر العلم وتدوينه ولذلك كانت المائة الثالثة زمن ظهور الدواوين الكبار في الإسلام ذات المائة مجلد ، بل المئات في مختلف العلوم تاريخياً وحديثاً وفقهاً وغيرها، وما كانوا قبل ذلك قادرين على شيء من ذلك لقلة المواد ، فاختراع الكاغد ممّا أعان على ضخامة الفقه وعظمة تأليفه، والتوسع في أصوله وفروعه وخلافياته، ومما يتعلق بالآلة الموصلة إليه كالحديث والنحو وغيرهما، ولم تدخل صناعة الورق إلى أوربا إلاّ بعد ذلك بقرون ، فأول ما عرف بها في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ، ولقد كان حدوث الطباعة أواسط القرن الخامس عشر الميلادي/ القرن التاسع الهجري من أعظم العوامل في ترقية العلوم كافة في المعمور كلها وانتشارها ولقد سبقونا إلى المطبعة عند تاخرنا كما سبقاهم للكاغد ، فلم تستعمل الطباعة عندنا إلاّ بعدهم بأربعة قرون لكن لاسبيل للانتفاع بها لولا هذا الاختراع المهم الذي هو أعظم رقي قديم وحديث فلولا الكاغد ما انتشرت الكتب والعلوم في الأقطار ولاتبودلت الأفكار ، وكانت صناعة الكاغد معروفة في الصين قبل المسيح بسنين لكن الصين كان مغلقاً لم ينتفع غيره منه بشيء فالفضل في انتشار هذه الصناعة للاسلام والعرب وقد انتشرت عندهم سريعاً. (الثعالبي، ١٩٩٥، ص ١٦-١٧).

إنّ لتعلّم الفقه آداباً إذ كانت لأهل المشرق آداب معينة لتعلم علم الفقه، إذ كان يحكى عن الشيخ الاسبيجابي إنّه وقع في زمان تحصيله وتعلمه مدة اثنتي عشرة سنة بانقلاب الملك، فخرج مع شريكه في المناظرة (إلى حيث يمكنهما الاستمرار في طلب العلم وظلا يدرسانه معا) ولم يتركا الجلوس للمناظرة اثنتي عشرة سنة. فصار شريكه شيخ الإسلام للشافعيين وكان هو شافعياً. وكان الشيخ القاضي الإمام فخر الإسلام قاضي خان يقول " ينبغي للمتفقه ان يحفظ كتاباً واحداً من كتب الفقه دائماً فيتيسر له بعد ذلك حفظ ما سمع من الفقه. (الزرنوجي، بدون تاريخ، ص ٤٨).

وبعامة فإنّ الفضل للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أنّ مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فإنّهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أنواع الذل في خدمة الحكام لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم إنّ يقوم له في كل مصيبة ويعادي

(*)١ هو أكبر أبناء يحيى البرمكي وكان له أخوة مع الخليفة الرشيد بالرضاعة ، وكان جاد الطبع خشن الأخلاق متقدماً عند أبيه على أخوته وهو أكثرهم تمكنا في إدارة الدولة ونظمها. تولى الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس وارمينية واذربيجان وخراسان والريّ وسجستان. (الرحيم، د. ت، ص ٤٢٨).

عدوه وينتهض علناً له في حاجاته ومسخراً بين يديه في اوطاره فإن قصّر في حقه ثار عليه وصار من أعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً لله تعالى فانظر إلى الإمارات حتى ترى أنواع الاغترارات. (الغزالي، بدون تاريخ، ص ٥٦). ومن وظائف المعلم ايضاً، أن لا تصبح في نفس المتعلم العلوم الأخرى فهذا من الأخلاق الذميمة. (الغزالي، بدون تاريخ، ص ٥٧).

ومن الجدير بالملاحظة في المشرق أن هناك جماعة من الفقهاء كانوا قضاة في بخارى[*٢] منهم سيبويه بن عبد العزيز البخاري النحوي، تولى قضاء بخارى ولم يظلم مقدار ذرة. ثم تولى القضاء مخلد ابن عمر سنين طويلة حتى استشهاده ؛ وكذلك أبو ديم حازم السدوسي الذي وصله أمر القضاء من الخليفة، وعيسى بن موسى التيمي المعروف بغنجار الذي لم يقبل القضاء في باديء الأمر ولم يكن في عهده في مدن خراسان أي شخص في علمه وزهده. ثم عامر بن عمر بن عمران، ثم اسحق بن إبراهيم بن الخيطي توفى بطوس بعد عزله في سنة (٢٠٨ هـ/ ٨٢٣م) . ثم سعيد بن خلف البلخي الذي ولى القضاء في سنة (٢١٣ هـ/ ٨٢٨م) وكان يضرب به المثل في العدل ، ووضع نظام عسس المياه وتقسيم الماء في بخارى بالعدل حتى لا يجور القوي على الضعيف . (النرشخي، ١٩٦٥، ص ١٧). وأيضاً عبد المجيد بن إبراهيم النرشخي الذي كان يُعدّ من عباد الله الصالحين وأحمد بن إبراهيم البركدي كان قاضياً في عهد السلطان أحمد بن إسماعيل الساماني وفقيهاً وزاهداً. ثم أبو ذر محمد بن يوسف البخاري وكان من جملة أصحاب الإمام الشافعي وكان ذا علم وزهد ، كما كان مقدّماً على علماء بخارى. وقد امتحنوه كثيراً عن طريق تقديم الرشوة له خفية وبكل الوسائل ولكنه لم يقبل وكان يزداد عدلاً. ثم ذهب إلى الحج وبعدها إلى العراق ، إذ أقام مدة يطلب علم الحديث ثم عاد إلى بخارى واختار العزلة حتى وفاته. ومنهم أيضاً أيو الفضل بن محمد بن أحمد المروزي السلمي الفقيه وهو صاحب (المختصر الكافي) تولى القضاء في بخارى لسنوات طويلة فعرف بالعدل والإنصاف وصار بعد ذلك وزيراً للخليفة ومات شهيداً. وكان غير هؤلاء الكثير من العلماء في بخارى وهم في الأصل كلهم فقهاء. (النرشخي، ١٩٦٥، ص ١٨).

إنّ الفقهاء في المشرق وقعوا في جملة أخطاء إذ كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث وظلّ الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد الكتب المشهورة في الحديث مثل سنن أبي داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يعرف مدى صحته وربما اعتمد قياساً يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنّما الفقه

[*٢] بخارى: من اعظم مدن ما وراء النهر. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٥٣).

استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري مدى صحته، ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى نعرف ذلك فصُنّفت الكتب وتقررت السنن وعُرف الصحيح من الضعيف، ولكن غلب على المتأخرين الكسل عن أن يطالعوا علم الحديث ، ومن اخطاء الفقهاء أنّ جلّ اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنّما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم الناظر بذلك عند الناس في خصام النظر فهمّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعمّ بها المصيبة. (ابن الجوزي، ٢٠٠١، ص ١٠٣).

علاقة علم الفقه بالعلوم الأخرى:

علاقته بالعلم القراءات:

إنّ بعض أحكام القراءات تحتاج إلى معرفة بعلم الفقه مثل الوقف والابتداء. (الزركشي، ١٩٥٧، ص ٣٤٣).

علاقته بالتفسير:

لعلم أصول الفقه علاقة بالتفسير إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها ويعرف الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم. (الذهبي، بدون تاريخ، ص ٤٥). وعلى المفسر أيضاً أن يتجنب كل ما يُعدّ من قبيل الحشو في التفسير كالخوض في ذكر علل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين، فإن كلّ ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم، وإنّما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه. (الذهبي، بدون تاريخ، ص ٤٩).

إذن التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص) وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. (السيوطي، ١٩٧٤، ص ١٩٥).

علاقته بالحديث:

لقد نشأت العلوم في ظل الحديث. إذ كان بعض العلماء يقول: " العلوم ثلاثة علم نضج وما اخترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث. وإنّه لقول سديد ينبئ عن المراحل التي مرّت

بها العلوم الإسلامية الكبرى، ويصوّر النتائج التي انتهى إليها الباحثون بعد الموازنة بين تلك العلوم، وبعد المقارنة بين أصولها المؤصلة وقواعدها المقررة ومصطلحاتها الدقيقة. ولقد جعل صاحب هذه الكلمة كلا من الفقه والحديث علماً واحداً وأصاب وأحسن صنعاً لأنّ فروع الفقه تشعبت عن التراث التشريفي الضخم الذي تركه حديث رسول الله (ص) في مختلف أبواب الحياة سواء أكان هذا الحديث تبياناً لمجملات القرآن أم أصلا تشريعياً مستقلاً بعد كتاب الله وما من ريب في إنّ هذا التداخل الوثيق بين الفقه والحديث قد قارب بين خطواتها في طريق التطور، وقارن بين مراحلهما المتعاقبة في سبيل النماء، فما ارسيت أصول الفقه الا بعد ان وضعت اللبنة الأولى في بناء علوم الحديث. (الصالح، ١٩٨٤، ص ٣١٥-٣١٦). وممّا يعكس علاقة الفقه بالحديث، جمع بعض العلماء للعلمين في مصنفاتهم، إذ جمع أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) في تصانيفه بين العلمين فنفع بها الطالبين والمسترشدين. (ابن الصلاح، ١٩٩٢، ص ٣٣٣).

علاقته بعلم الكلام:

كان الإمام الشافعي (رحمه الله) ينهى بشدة عن الكلام في الأهواء ويقول أحدهم إذا خالفه صاحبه قال كفرت والعلم إنّما يقال منه أخطأت ولعل الشافعي (رحمه الله) أراد أنّ صاحب الكلام لا يفلح في غالب مظنونه إذا لم يتعلم من علم الفقه ما يُصلح به أمر دينه. (الاشعري، ١٤٠٤ هـ، ص ٣٣٨).

علاقته بعلم الشريعة:

يُعدّ علم الفقه أحد الجوانب التي يرتكز عليها علم الشريعة، وهذا الجانب هو النظام الذي ينبثق عن الأصول العقدية ويقوم عليها ويجعل لها صورة واقعية متمثلة في حياة البشر الواقعية، ولهذا فهو يحدد للمكلفين حدوداً في اقوالهم وافعالهم فيبين كيفية عمل المكلف على الوجه الذي أمر به الشرع، في الشعائر التعبدية والنظام الاجتماعي ونظام الأسرة والنظام السياسي والنظام الاقتصادي وفي قواعد الأخلاق والسلوك والتربية والمعاملات الأدبية والمالية وكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وعلاقاتهم وتسمّى الأحكام المتعلقة بهذه الجوانب أحكاماً فرعية أو عملية والعلم المتعلق بهذا الجانب يسمى علم الفروع أو فروع الدين أو علم الفقه أو علم الاحكام والشرائع لأنها لا تستفاد إلاّ من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند الإطلاق إلاّ إليها. (خميرية، ١٩٩٦، ص ٣٢).

علاقته بالتصوف:

سُمِّي علم الفقه بعلم الظاهر لأنّه يشتمل على تفصيل أحكام الجوامع أي أنّ غُلاة المتصوفة سمّوا علم الشريعة علم الظاهر. وسموا علم هواجس النفس علم الباطن. (ابن غيهب، ١٩٩٦، ص ٣٨٥).

وفي سياق علاقة الفقه بالتصوف، يقال إنّ الحلاّج اختدع جماعة من خواص الخليفة المقتدر (٢٩٥ هـ/ ٩٠٧م) فخاف المقتدر فتنة فعرض حاله على الفقهاء واستفتى فيه الفقهاء فوافق مراده فتوى أبي بكر بن داود فأمر حتى ضُرب ألف سوط وقُطعت يداه ورجلاه وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة (٣٠٩ هـ/ ٩٢١م) واتباعه الذين من أهل طالقان، قالوا أنّه حيّ وإنّ الذي قُتل كان شخصاً شبهه. (الاسفراييني، ١٩٨٣، ص ١٣٤).

لا يفوتنا أن نذكر إنّ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي شهد نشاطاً كبيراً للصوفية الذين نزلوا إلى ميدان التبشير الذي احتكره الفقهاء من قبل. وقد شهد هذا القرن التوفيق بين التصوف والفقه، الأمر الذي حمى الصوفية من عدوان الفقهاء وأطلق يدهم في الميدان الديني. لقد قام هؤلاء المتصوفة بدور كبير إلى جانب الفقهاء، فالفقهاء يخاطبون الطبقة المثقفة والصوفية يتعمقون بالعقيدة في نفوس طبقات السذج والعوام. (حسن ، ١٩٧٢، ص ١٧٣-١٧٤).

خصائص بلدان المشرق في علم الفقه:

في المشرق الإسلامي كان الفقهاء يتمتعون بالمكانة السامية والدرجات الرفيعة، يقول المقدسي: " في إقليم المشرق يبلغ الفقهاء درجات الملوك " . (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٦٠). وفي المشرق الإسلامي كان لعلم الفقه مكانة بارزة بين العلوم إذ أنّ خرسان[*٣] هو أكثر الأقاليم علماً وفقهاً وللمذكرين به صيت ، وبالتالي فإنّ أهل خراسان أشدّ الناس تفقهاً وإقليمهم أكثر أجلة وعقلاء مع العلم الكثير. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٢٣).

وكانوا يفضّلون العلماء فمن عاداتهم أنّهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض ولهم مجالس عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة بين يد الخليفة فيبدأ بسؤال مسالة ثم يتكلمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٣٩).

وكان للمدارس التي كانت بخراسان أثر مهم وخطير في نشر الإسلام بهذه البلاد وبإقليم ما وراء النهر وإن كانت هذه المدارس مستقلة عن تدبير الحكومة السامانية، وسياستها، وكانت الدعوة إلى الإسلام في عهدهم أكثر نجاحاً في بلادهم من أي مكان آخر وذلك يفضل هذه المدارس التي كانت بخراسان. (حيدر، ١٩٧٣، ص ١٧٠).

وفي خراسان كانت هناك مذاهب عدّة وهي بين الشيعة والكرامية وهناك عصبيات في هذا الإقليم بين أصحاب أبي حنيفة والشافعي كما في سجستان[*٤] وسرخس[**٥]

[*٣] خراسان: بلاد واسعة اول حدودها ازاذوار وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٥٠).

[*٤] سجستان: ولاية تقع جنوبي هراة . (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ١٩٠).

[**٥] سرخس: مدينة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو . (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص٢٠٨).

وهـــراة[**٦] ومـــرو[***٧] ونيســـا[****٨] وابيـــورد[*****٩] وبلـــخ[******١٠] وسمرقند[*******١١] وجميع البلدان قل ان تخلو من عصبيات. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٣٦).

وجدير بالذكر إنّ أنجب بلدان خراسان أهل بلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام. (الاصطخري، ١٩٢٧، ص ٢٨٢ ؛ ابن حوقل، ١٩٦٧، ص ٤٥٢). ولا سيّما بلخ، قال المقدسي ... وبلخ خزانة الفقه ... " . (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٤).

ويمكن أن نضيف إلى خراسان فارس[********١٢] في هذا المجال إذ أنّ خراسان وفارس أخرجت أشهر أئمة الفقه مثل ابن المبارك وابن راهويه وأمثالهما في الفقه والحديث وهي لا تخلو من ائمة من هذا النوع ولهم التصانيف الكثيرة. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٤٤٨-٤٤٩). وفي إقليم الديلم[*١٣] كان الفقهاء يعقدون المجلس ويتقلدون القضاء والأعمال وأكثر الفقهاء من الثلاثة مذاهب معتزلة وهناك الكثير من الشيعة. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٤٣٩).

وفي إقليم الجبال[*١٤] احياء للشافعية والحنفية والشيعة ، (لسترنج، ١٩٥٤، ص ٢٥١). وفي شيراز[**١٥] كان المشايخ يعقدون مجالس الاملاء. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٤٣٠). وفي ايرانشهر[***١٦] لايخلو فقيه من أدب، وهم يعقدون مجالس النظر في كل يوم. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣١٥). وفي جرجان[****١٧] من عاداتهم إنّ التذكير للفقهاء واهل الروايات. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٣٦٨).

وفي تستر[*****١٨] أكثرهم علماء يدرسون في المسجد إلى الضحى غير أنّهم قد بغضوا أنفسهم إلى الناس بعلم الكلام وخالفوا بالاعتزال جميع الإسلام حتى ذمّهم المذكرون والعوام. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٤١٠).

[**١٦] هراة: من امهات مدن خراسان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٩٦).
[***١٧] مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ١١٢).
[****١٨] نسا: مدينة بخراسان قريبة من سرخس ومرو وابيورد . (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص٢٨٢).
[*****١٩] ابيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٨٦).
[******١١٠] بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٤٧٩).
[*******١١١] سمرقند: قصبة الصغد. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٢٤٦).
[********١١٢] فارس: ولاية واسعة أول حدودها من جهة العراق ارجان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٢٢٦).
[*١١٣] الديلم: يتصل بها من الجنوب قزوين ومن المشرق الري وطبرستان ومن الشمال بحر الخزر ومن المغرب اذربيجان. (الاصطخري، ٢٠٠٤م ، ص ٢٠٤).
[*١١٤] الجبال: اسم جامع للأعمال المجاورة للعراق. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ١٠٣).
[***١١٥] شيراز: قصبة بلاد فارس. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٨٠).
[****١١٦] ايرانشهر: هي بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان يجمعها كلها. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٢٨٩).
[****١١٧] جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ١١٩).
[*****١١٨] تستر: اعظم مدينة بخوزستان. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٢٩).

وفي مرو يعقد مجلس كل ليلة لفقيه بفقه أبي حنيفة. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٢٦٠). والصغانيان(*[١٩]) قليلة العلماء خالية من الفقهاء. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٢٨٣). وخوارزم(**[٢٠]) أهلها أهل علم وفقه لا يوجد إمام في الفقه إلاّ وله تلميذ خوارزمي. (المقدسي، ١٩٠٦، ص ٢٨٤).

وازدهرت عدد من مدن ما وراء النهر واشتهرت باحتضان الثقافة الإسلامية ومنها بخارى وسمرقند التي كانت مركزاً مهماً لتجمع العلماء والمثقفين في العصر الساماني فأنجبت عدداً من العلماء في مجال الفقه والحديث والعلوم الشرعية منهم قاضي سمرقند والفقيه المحدث أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣م). (المشهداني، ٢٠١٠، ص ٥٨).

ففي بخارى انتشرت الجوامع والمساجد، ثم بنيت بها المدارس والخوانق والربط والزوايا، واجرى الوقف عليها وكثُر من العلماء أهلها، ولهم التصانيف المشهورة وازدهرت فيها علم الفقه. (العمري، ١٤٢٣ هـ، ص ١٤٢).

وبرزت غزنة(***[٢١]) مركز اشعاع كبير في جنوب غرب آسيا يعلو شأنه على المراكز الأخرى وذلك بفضل تشجيع السلاطين الغزنويين الذين لم يضيعوا جهداً في سبيل رفع شأن العلوم والفنون في دولتهم، وممّا زاد من مكانة غزنة أنّها أضحت مركزاً رئيساً ومهماً لتدريس الفقه الحنفي وعلومه وذلك سنة (٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥م)، وقد خرجت المدينة عشرات الفقهاء على المذهب الحنفي، هذا غير الذين جاءوا إليها من الخارج ودفعت الدولة بهم إلى كافة الأقاليم للعمل على اقرار قوانين الدولة وتشريعاتها على وفق الأحكام الفقهية الحنفية وهو من سمات العصر إذ أنّ مذهب الدولة كان على المذهب الحنفي.

وقد عدّ السلطان محمود الغزنوي في عداد فقهاء المسلمين على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان حتى دفعه اهتمامه بالمذهب الحنفي إلى تأليف كتاب في فقه الأحناف قبل توليه السلطنة. ومن هنا تأثرت البلدان التي فتحها محمود بهذا المذهب فانتشر في أواسط آسيا، افغانستان والهند وحتى إنّ الدول التي أعقبت الغزنويين في حكم الهند كالسلطنة الإسلامية والمغول انعكس عليهم المذهب الحنفي وبقي حتى الآن مذهباً للدولة. (المشهداني، ٢٠١٠، ص ٩٤-٩٥).

(*)[١٩] الصغانيان: ولاية بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٤٠٨).

(**)[٢٠] خوارزم: ناحية في آخر الإقليم الخامس قصبتها الجرجانية . (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٩٥).

(***)[٢١] غزنة: مدينة عظيمة في طرف خراسان . (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٢٠١).

المبحث الثاني

علم الفقه والمذاهب في المشرق الإسلامي

علم الفقه والدويلات الحاكمة في المشرق:

اهتم الطاهريون (٢٠٥-٢٥٩ هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م) بنشر التعليم بين السكان وتعهّدوا أهل العلم والمعرفة وأغدقوا على العلماء، كما أصبحت مدينة نيسابور في عهدهم مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الإسلامية. (المشهداني، ٢٠١٠، ص ٢٨).

ولما نقلت دار الإمارة إلى نيسابور[*٢٢] في أيام الطاهريين عمرت وكبرت وعظمت أحوالها عند توطنهم إيّاها وقطونهم بها حتى طرأ عليها الفقهاء عند ايثارهم لها وقد أخرجت نيسابور الكثير من العلماء ونشأ بها على مر الأيام أشهر الفقهاء. (حيدر، ١٩٧٣، ص ١٧٢).

وفي العهد الساماني (٢٠٤-٣٩٠ هـ/ ٨١٩-٩٩٩م) يُجمع المؤرخون على انبعاث نهضة اسلامية كبرى من مدارس ما وراء النهرولا سيّما من بخارى وسمرقند ولا ننكر إنّ هذه النهضة تطور طبيعي وضحت مظاهره منذ أيام الأمويين ووصل إلى القمة في ذلك العصر. ولا ننسى أن نذكر إنّ مستوى الرخاء ومظاهر الثروة تساعد على تشجيع الحركة العلمية ونموها. وقد أسهم السامانيون في هذا البعث بتشجيعهم الحركة العلمية وتقديرهم لرجال العلم. وقد عمل إسماعيل بن أحمد الساماني على توطيد سلطانه في بخارى بمعونة الفقهاء وقد أعفاهم من تقبيل الأرض بين يديه وكان يختار نخبة من فقهاء الحنفية ورجال العلم في بخارى لأخذ رأيهم في المسائل الهامة. (حسن، ١٩٨٥، ص ١٧٠).

وبعامة فقد تمتع رجال الدين في الدولة السامانية بمكانة خاصة وكان الأمير يختار من بين فقهاء الحنفية ببخارى أكثرهم علماً وأرفعهم مكانة فكانت الأمور تصدر عن رأيه وتقضي حوائجه ويعين العمال على وفق مشورته. (بارتولد، ١٩٨١، ص ٣٦١).

وحين غزا حسين بن طاهر أمير خوارزم هذا الإقليم عام (٢٥٩ هـ/ ٨٧٣م) فاعمل السلب والنهب في بخارى كلها استنجد فريق من أعيان هذه البلاد بنصر الساماني في سمرقند على ما نصح لهم به عبيد الله الفقيه وكان من العلماء المرموقين. وعرض عليهم نصر أن يبعث إليهم بأخيه اسماعيل وسيره إلى بخارى على الفور. وحين علم العدو بقدومه عرض عليه الصلح، لتدخل بخارى بعد ذلك في حوزة السامانيين ودخل إسماعيل المدينة في رمضان سنة (٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م). (فامبري، بدون تاريخ، ص ٩٤-٩٥).

لقد ظلت الخصومة بين الحكومة ورجال الدين مستعرة في عهد شمس الملك، ففي بداية حكمه عام (٤٦١ هـ/ ١٠٦٩م) أُعدم الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن أبي نصر الصفار

[*٢٢] نيسابور: مدينة ما بين جيحون إلى القادسية. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٣١).

ببخارى، قال السمعاني: " وكان اماماً فاضلاً قوّالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، قتله الخاقان نصر بن إبراهيم المعروف بشمس الملك ببخارى صبراً لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر " . (السمعاني، ١٩٨٨، ص ٣١٨؛ بارتولد، ١٩٨١، ص ٤٦٤).

وهنا لابدّ أن نذكر أنّ أحمد قتل عام (٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) نتيجة نزاعه مع رجال الدين وبذلك انتهى حكمه. وقصة ذلك هي أنّ الخان في أثناء وجوده في إيران كان قد دخل في علاقات مع ملاحدة الديلم، فلما رجع إلى ما وراء النهر وجهت إليه تهمة الإلحاد ونشر الفقهاء وقضاة سمرقند فتوى بين جنده يطالبون فيها بعزلة وقتله. وكان أحمد يتمتع بشعبية عريضة في العاصمة حتى أنّه كان من المستحيل أن تشعل نار الثورة عليه، ولذا فقد أقنع الحزب العسكري مستحفظ قلعة كاسان(*٢٣) المدعو طغرل ينال بك بأن يعلن العصيان على الحكومة، فلما اقترب أحمد من المدينة بجيشه ثار قواده وقبضوا عليه وعادوا إلى سمرقند. وهناك أُحضر الخان المعزول أمام محكمة من الفقهاء أفتت بإدانته على الرغم من دفعه التهمة ، ثم قُتل. وهذا الحادث يجب أن يُعدّ أقصى ما بلغه نفوذ طبقة رجال الدين في حلفها مع طبقة العسكريين ضد الحكومة. (ابن الأثير، ١٩٩٧، ص ٣٨٩؛ الذهبي، ١٩٩٣، ص ٣٨؛ بارتولد، ١٩٨١، ص ٤٦٦).

المذاهب الفقهية في المشرق:

شهد المشرق الإسلامي ظهور عدد من المذاهب الإسلامية التي كانت مبنية على علم الفقه. ولقد احتوى كل مذهب على جملة من الأحكام والعقائد التي أثرت في شلّ الحياة العلمية في المشرق الإسلامي بشكل مباشر.

إنّ العصر العباسي الأول كان عصر ائمة مذاهب السنة الأربعة. وقد ظهر في العصر العباسي الثاني بعض أعلام الفقهاء الذين كوّنوا لهم مذاهب في الفقه. ولكن لم يُقدّر لها الاستقرار والذيوع أمام هذه المذاهب الأربعة. ومنهم أبو سليمان داود بن علي ابن خلف القاشاني (ت ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م). كان القاشاني شافعي المذهب، أخذ فقه الشافعي عن بعض تلاميذه، وله طريقة خاصة تتلخص في الأخذ بظاهر نصّ القرآن وعدم قبول القياس والتأويل. (حسن، ١٩٦٥، ص ٣٤٧). ثم سُمَّي بأبي سليمان الظاهري ويُعرف أتباعه بالظاهرية أي الذين أنكروا القياس وابطلوا العمل به.

وبذلك خرج أبو سليمان داود على الأصول والقواعد الفقهية عند الشافعية أنفسهم فتصدّى للردّ عليه أبو العباس بن سريج (ت ٣٠٥ هـ/ ٩١٧م) في كتاب أسماه (الرد على المخالفين من أهل الرأي وأهل الظاهر) وله مؤلفات كثيرة تدلّ على سعة اطلاعه. (حسن، ١٩٦٥، ص ٣٤٨).

(*)٢٣ كاسان: مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٤٣٠).

ومن أصحاب المذاهب الفقهية من المجتهدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م)، وكان من أهل طبرستان(*٢٤) وقد درس فقه الشافعية ولذلك لم يختلف مذهبه المعروف بالمذهب الجريري عن مذهب الإمام الشافعي وكان الطبري واسع الاطلاع كثير التأليف، من كتبه كتاب الأمم والملوك في التاريخ، وكتاب في التفسير وكتاب اختلاف الفقهاء، وكتاب تبصير أولي النهى ومعالم الهدى وكتاب شرح السنة وكتاب بشارات المصطفى وكتاب الرد على الحنابلة. (ابن خلكان، ١٩٠٠، ص ٤٥٦؛ حسن، ١٩٦٥، ص ٣٤٩).

وبمرور الزمن أصبحت السيادة للمذاهب الأربعة وهي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ووقف الاجتهاد عند هؤلاء الأربعة. ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسدّ الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر من تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولمّا خُشي من اسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه فصرّحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين، وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلاّ نقل مذاهبهم، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية، لا محصول اليوم للفقه غير هذا، ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده. وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة. (حسن، ١٩٦٥، ص ٣٥٠).

لقد ظهر في العصر العباسي الثاني بعض أعلام الفقهاء الذين كوّنوا لهم مذاهب في الفقه وإنّ هذه المذاهب لم يُقدّر لها الاستقرار والذيوع أمام المذاهب الأربعة . ومن هؤلاء الفقهاء داود الظاهري الذي كانت له طريقة خاصة تتلخص في الأخذ بظاهر نصّ القرآن والسنة وعدم قبول الرأي والقياس ولذلك سمي داود الظاهري ويُعرف أتباعه بالداودية أو الظاهرية. (ابن النديم، ١٨٧١، ص ٣٠٧). والظاهرية قد جعلوا المدارك كلها منحصرة في التصوف والإجماع وردّوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص وبذلك خرج داود على علم الأصول والقواعد الفقهية التي وضعها أئمة المذاهب الأربعة ولاسيّما الإمام الشافعي. (ابن خلدون، ١٨٨٦، ص ٣٩٠). وفي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي نرى من المذاهب المذهب الشافعي والمالكي والحنفي ومذهب الداودية أو الظاهرية. وقد ساد من هذه المذاهب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي مذهب الحنفي والمالكي ومذهب الداودية، ونرى مذاهب أخرى أقلّ انتشاراً كالمذهب الحنبلي. ومذهب الراهوية ومذهب

(*)٢٤ طبرستان: بلدان واسعة كثيرة وهي بين الري وقومس والبحر والديلم والجيل. (الحموي، ١٩٩٥، ص١٣).

الأوزاعي على أنّ السيادة أصبحت بمرور الزمن للمذاهب الأربعة والمشهورة. (حسن، ١٩٦٧، ص ٤٥٠).

لقد نهض المذهب الإسماعيلي بشكل كبير على أيدي الفاطميين الذين اعتمدوا على المدارس التي أطلقوا عليها في المغرب (مدارس الدعوة) لبثّ عقائد المذهب الإسماعيلي على أساس تعاليم الفقه الشيعي وقد عرفت هذه المدارس باسم مدارس الحكمة ومنها دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الحاكم الفاطمي. وقد امتدت هذه المدارس إلى أقاليم الدعوة الفاطمية أو بحارها وجزرها كما يطلق عليها في ذلك الحين. وكان الخلفاء الفاطميون بعامة من أفقه الناس بعقائد المذهب الفاطمي وتعاليمه، وكان لداعي الدعاة ونوّابه أثر كبير في نشر الفقه الشيعي على المبادئ التي كانت تلقى في المساجد والقصور وفي دور العلم كمدارس الدعوة ومدارس الحكمة. وكان هؤلاء الدعاة يصنفّون الكتب ويعدون المحاضرات التي تتناول المسائل الفقهية التي يستمدونها من أئمة أهل البيت. وقد أنجبت الدعوة الإسماعيلية دعاة كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة وفي عالم الأدب والفلسفة والتأليف. ومن بين هؤلاء الدعاة أو الفقهاء: أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م) في بلاد الديلم وأبو يعقوب السجزي (ت ٣٣١ هـ/ ٩٤٢م). وقد بلغت الدعوة الإسماعيلية ذروتها على يد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١ هـ/ ٩٥٢م) وقاضي قضاته أبو حنيفة النعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م). وكان لهذه المدرسة أثرها الكبير فيمن جاء بعده من الدعاة مثل حميد الدين الكرماني الذي يعد من فلاسفة الإسماعيلية ودعاتهم في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذي كان يلقب بحجة العراقين. وقد ألّف الكرماني في الرد على بدعة الدرزية في تأليه الحاكم رسالة سميت (الرسالة الواعظة في نفي دعوى إلوهية الحاكم بأمر الله) ويثبت فيها عقيدة الإسماعيلية في وحدانية الله تعالى. ومن أشهر كتبه كتاب (راحة العقل) وله رسائل في أدب الإسماعيلية وكتاب (المجالس البغدادية) وكتاب (المجالس البهية) جمع فيها محاضراته في تأويل الآيات المتشابهة. (حسن، ١٩٦٧، ص ٤٥١).

ومن أشهر فلاسفة الاسماعيلية وفقهائهم هبة الله الشيرازي المعروف بالمؤيد. وقد غلب عليه لقب المؤيد في الدين من أسرة اتخذت التشيّع لها ديناً والفاطمية مذهباً. وأخذ المؤيد يرقى مدارك الدعوة الإسماعيلية حتى تقلّد رئاسة الدعوة في شيراز وأصبح حجة بلاد فارس سنة (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨م)، واتصل بالسطان أبي كاليجار البويهي وكسب عطفه وتوثقت صلته به واستطاع بقوة حجته وبلاغته أن يستميله إلى الدعوة الإسماعيلية، ثم سار إلى الأهواز ودعا الناس إلى اقامة الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمي، ثم رحل المؤيد في الدين إلى الموصل ولجأ إلى قرواش بن المقلد العقيلي، ولكنه لم يستجب إلى دعوته فرحل إلى مصر سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧م ومثل بين يدي الخليفة المستنصر (٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥م) الذي

قلّده ديوان الإنشاء. واستمال أبا الحارث اليساسيري الذي انتصر جنده على جند طغرلبك السلجوقي أول الأول ونشر الدعوة الفاطمية في العراق وخطب للخليفة الفاطمي في بغداد نحو سنة. (حسن ، ١٩٦٧، ص ٤٥١-٤٥٢).

وقد تقلّد المؤيد في الدين رئاسة الدعوة الفاطمية وأصبح داعي الدعاة سنة (٤٥١ هـ/ ١٠٥٨م) ، وبرع المؤيد في العربية والفارسية وخلف كثيراً من الكتب التي تعدّ من أُمّات كتب الإسماعيلية. ومن مؤلفاته كتاب (المجالس المؤيدية) و(ديوان البريد) و (سيرة المؤيد في الدين) و(شرح المعاد) و(الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير) و(الابتداء والانتهاء) و(قصيدة الإسكندرية) و(تاويل الارواح) وكتاب (المسألة والجواب) وكتاب (أساس التأويل)، (حسن، ١٩٦٧، ص٤٥٢).

ومن أهم آثار المؤيد في الدين كتاب (المجالس المؤيدية)، وهو مجموعة محاضرات ألقاها في مجالس الدعوة يشرح فيها عقائد المذهب الفاطمي ويصوّر (ديوان المؤيد) عقائد الفاطميين تصويراً كاملاً. كما عرض المؤيد لمبدأ التأويل وإعجاز القرآن والرأي والقياس. ومن أهم مؤلفات المؤيد في الدين التي تعرض لفلسفة الإسماعيلية كتاب (المجالس المستنصرية) فقد تناول الكلام على أصول عقائد الإسماعيلية وتعرض للعبادات ولقواعد الإسلام العملية من الفرائض والسنن ورفع من شأن الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥م). (حسن، ١٩٦٧، ص ٤٥٢).

أمّا المذهب الشيعي فإنّه ظهر في عهد أبي كاليجار إذ كان لجميع الديالمة سبعة مذاهب وفي هذا الوقت كانوا يطلقون عليه المذهب الباطني. (ابن البلخي، ١٩٢١، ص ١١٩).

إنّ الدعوة الشيعية لم تنقطع البتة في خراسان التي كان بها من أكبر مشاهد الشيعة، وإنّ خطبة نيسابور كانت تقرأ في عهد ولاية عبد الله بن طاهر باسم أحد العلويين هو أبو الحسين محمد بن أحمد الذي زوّجه عبد الله من ابنة أخيه. وفي عهد نصر بايع أهل نيسابور أبا الحسين محمد بن يحيى حفيد العلوي المذكور خليفة لهم. وقد دعاه إلى زيارة بخارى وتحفّظ عليه هناك بعض الوقت ثم أطلق سراحه فيما بعد وأنعم عليه بل ومنحه معاشا فكان أول من تمنحه الدولة من العلويين معاشا. وقد نشطت الدعوة الشيعية بدرجة ملحوظة نتيجة قيام الدولة الفاطمية (في أوائل القرن العاشر) فوجد دعاة الفاطميين طريقهم إلى خراسان واستطاعوا أن يجتذبوا الحسين بن علي المروزي إلى المذهب الشيعي وقد خلفه محمد بن أحمد النخشبي أو النسفي الذي نقل نشاطه إلى بلاد ما وراء النهر تنفيذاً لوصية أستاذه، وهناك أحرز في بداية الأمر بعض النجاح في موطنه ثم في العاصمة نفسها. واستطاع النخشبي أن يجتذب بعض الأعيان إلى مذهبه وكان من بينهم الحاجب الأكبر آيتاش والكاتب الخاص

(دبير خاص) أبو بكر بن أبي أشعث أبو منصور جغاني ورئيس بخارى وصاحب الخراج وحاكم إيلاق حسين ملك. وعلى يد هؤلاء وجد النخشبي طريقه إلى القصر وسرعان ما أصبح أمير نفسه قرمطياً. واستجابة لطلب النخشبي وافق نصر على دفع مائة وتسعة عشر الف دينار للخليفة الفاطمي القائم دية عن دم الحسين بن علي المروزي الذي مات بسجن بخارى. (بارتولد، ١٩٨١، ص ٣٧٤).

وأمّا مذهب أهل السنة والجماعة، فإنّ أئمة الفقه كانوا لا يختلفون في اعتقاد أهل السنة والجماعة وجميع أهل الرأي والحديث ائمة الحجاز مثل مالك والاوزاعي واحمد ابن حنبل واسحق بن راهقويه ومحمد بن أسلم الطوسي وغيرهم من أئمة الحجاز والشام والعراق وأئمة خراسان وما وراء النهر. (الاسفراييني، ١٩٨٣، ص ١٨٣).

أمّا مذهب الكرامية فإنّ ابن كرام ابدع في الفقه حماقات لم يسبق إليها منها قوله في صلاة المسافر إن يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولاسجود ولاقيام ولاقعود ولاتشهد ولاسلام ومنها قوله بصحبة الصلاة في ثوب كله بخس وعلى أرض بخسة ومع نجاسة ظاهر البدن وإنّما أوجب الطهارة عن الإحداث دون الانجاس ومنها قوله بأنّ غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين وإنّما الواجب كفنه ودفنه وغيرها. (البغدادي، ١٩٧٧، ص ٢١٢).

وفيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للمذاهب الفقهية في المشرق الإسلامي، فليست هناك مدينة بالمشرق إلاّ وفيها أحسن الطرق والطبقات وأكثرهم يقول بالوعيد على مذاهب أهل البصرة والى الاعتزال ميلهم ومن الجروم منهم يرون تفصيل ابي علي الجبائي على الجميع وإليه ينحون وبه يأتمون وأهل الصرود من أهل شيراز واصطخر فالغالب عليهم مذاهب الحشو وفي الفتيا مذاهب أهل الحديث. (الاصطخري، ١٩٢٧، ص ١٣٩؛ ابن حوقل، ١٩٦٧، ص ٢٩٢-٢٩٣).

أمّا السيرجان فالغالب على مذاهب أهلها الحديث وعلى أهل جيرفت الرأي وكذلك على أهل الروذبار وقوهستان أبي غانم وأهل القفص والمنوجان يتشيعون. (الاصطخري، ١٩٢٧، ص ١٦٧؛ ابن حوقل، ١٩٦٧، ص ٣١٢).

والغالب على قم التشيع وعلى قاسان الحشو. (الاصطخري، ١٩٢٧، ص ٢٠١؛ ابن حوقل، ١٩٦٧، ص ٣٦١). فجميع أهل قم شيعة. (الاصطخري، ١٩٢٧، ص٢٠١؛ ابن حوقل، ١٩٦٧، ص ٣٧٠). ويزد الواقعة ضمن فارس وهي بداية حدود كورة اصطخر أهلها كلهم من أهل السنة والجماعة. (ابن البلخي، ١٩٢١، ص ١٢٢).

المبحث الثالث

أعلام الفقه في المشرق الإسلامي

في مجال الفقه الإسلامي نبغ كثير من العلماء وبلغوا مبلغ الاجتهاد فيه من أمثال أبي حاتم محمد بن حيان السمرقندي، وكان إماماً كبيراً له تصانيف عدّة، وطوّف في البلاد، وقال " لعلّنا أخذنا عن ألف شيخ بين الشاش والإسكندرية" وقد ولي قضاء سمرقند.

ورحل إليه كثير من الناس ليأخذوا العلم عنه، وإليه يرجع كثير من المحدثين في حكمه على رجال الحديث بالجرح والتعديل، ويستفيد بدراساته في الفقه علماء الشريعة الإسلامية، وقد مات سنة (٢٥٤ هـ/ ٨٦٨م). (حيدر، ١٩٧٣، ص ٢٠٨).

وبرع في الفقه في هذه البلاد أبو بكر محمد بن المنذر النيسابوري وكان اماماً مجتهداً وكان في القمة من حيث معرفته بالحديث والأخلاق، وكان مجتهداً لا يقلّد احداً وتوفي سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٨م). وكان بالدولة السامانية كثير من عظماء الشافعية والحنفية، فمن أكبر رجال الشافعية محمد بن علي القفال الشاشي(*٢٥) الذي كان يُعدّ إمام عصره في بلاد ما وراء النهر وناشر مذهب الإمام الشافعي في هذا الإقليم وكان يقول بالاعتزال وله كتب في الفقه وأصوله. وممن انجبتهم هذه البلاد أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الحافظ الشافعي الذي رحل إلى كثير من البلاد ثم عاد إلى بلاده وأخذ في التصانيف والتأليف وأكثر منها وهو أول من جمع نصوص الشافعي وطلب إلى نيسابور لنشر العلم بها فأجاب وأقام بها إلى أن توفى.

واشتُهر من الحنفية الإمام الماتريدي(*٢٦) وهو للحنفية في علم الكلام كالأشعري للشافعية، كتب كتاب التوحيد، وأوهام المعتزلة، ومآخذ الشرائع في الفقه والجدل في أصول الفقه وغير ذلك، ومات سنة (٣٣٣ هـ/ ٩٤٤م). (حيدر، ١٩٧٣، ص ٢٠٨).

وهذا أنموذج صغير ممّا خرجته هذه البلاد من المحدّثين والفقهاء وهو دليل على ما وصلت اليه الدولة السامانية من النهوض العلمي والتقدم الفكري لخير الإنسانية جمعاء في مجال الفقه الإسلامي. (حيدر، ١٩٧٣، ص ٢٠٩).

وإمام الدنيا في عصره أبو اسحق إبراهيم بن محمد الكالواباذي المروزي، صنف الأصول وشرح المختصر للمزني، وقصده الناس من البلاد وانتشر عنه علم الفقه،"وخرج من عنده سبعون من مشاهير العلماء"على حد قول ياقوت الحموي، وكان يدرس ببغداد ثم انتقل

(*)٢٥ الشاشي: هو محمد بن علي بن اسماعيل امام عالم، أخذ عن ابن سريج وكان مائلا إلى الاعتدال قال في أول أمره بالاعتزال ثم رجع إلى مذهب الاشعري، له تصانيف عديدة منها: أدب القضاة، محاسن الشريعة. ولد بالشاش سنة (٢٧١ هـ) وتوفى بها سنة (٣٦٥ هـ). (الشاشي، ١٩٨٨، ص ٢٩).

(*)٢٦ الماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣ هـ) من أئمة علماء الكلام ينسب إلى ماترید (محلة بسمرقند) من كتبه: التوحيد، أوهام المعتزلة. مات بسمرقند . (الزركلي، ٢٠٠٢م، ص ١٩).

عنها إلى مصر فاجلس مجلس الشافعي في حلقته واجتمع الناس عليه، مات بمصر سنة (٣٤٠ هـ/٩٥١م).(ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ص ٣٣٨).

ومحمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي[*٢٧] الفقيه الشافعي كان إماماً في علم الفقه مذهباً وخلافاً وفي أصول الديانات والفقه وسمع صحيح البخاري من ابن سهل محمد بن عبيد الله الحفصي وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ثم خرج إلى الشام زائراً لبيت المقدس فقدم دمشق سنة (٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م) ثم رجع إلى بغداد ومضى إلى خراسان ودرس مدة بطوس ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة ، قدم نيسابور فدرس على إمام الحرمين وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ، توفي بطوس سنة (٥٠٥ هـ/ ١١١١م). (الذهبي، ١٩٩٣، ص٢٠٠).

والإمام أبو اسحق الإسفراييني رحمه الله له تصانيف في أصول التوحيد وأصول الفقه كل واحد منها معجز في فنه منها (في الأصول) كتاب ترتيب المذهب وكتاب المختلف في الأصول لم يجمع مثلهما في علم أصول الفقه بعد الشافعي ومثل الأستاذ أبي بكر بن فورك الأصفهاني الذي لم يُرَ مثله في نشر دينه وقوة يقينه. (الاسفراييني، ١٩٨٣، ص ١٩٣-١٩٤). وأبو الطيِّب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري (رحمه الله) اشتهر ذكره ببلده وكانت رياسة أصحاب الشافعي له بنيسابور ولوالده ولولده وكان أبوه أبو سهل محمد بن سليمان (رحمه الله) ذا محل كبير وذكره فيما بين أهل العلم بخراسان كبير لم يزل هو وابناؤه وابناؤهم يظهرون مذهب الأشعرية ويجاهدون بنيسابور المعتزلة والرافضة والكرامية. (الأشعري، بدون تاريخ، ص ٥٤).

وعتبة بن محمد بن حاتم القاضي أبو الهيثم النيسابوري الحنفي الإمام. سمع الأصمّ وطائفة، وتفقه على أبي الحسين قاضي الحرمين، وسمع في الفقه وصار أوحد عصره حتى لم يبق بخراسان قاض حنفي إلاّ وهو ينتمي إليه. قال أبو عبد الله الحليمي: " لقد بارك الله في علم الفقه بأبي الهيثم، فليس بما وراء النهر أحد يرجع إلى النظر والجدل إلاّ أصحابه". (الذهبي، ١٩٩٣، ص ٢٢١) .

روى عنه الحاكم حديثاً في تاريخه . (الذهبي، ١٩٩٣، ص ٢٢١) . ومن النساء فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي الفقيه الحنفي الكبير صاحب تحفة الفقهاء (ت ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م) فقد كانت فقيهة جليلة، تزوجها تلميذ ابيها الشيخ علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م) صاحب البدائع الذي بسط فيه كتاب شيخه السمرقندي حتى قيل

[*٢٧] الفقيه الشافعي إمام الشافعية في عصره اشتغل بطوس على أحمد الرادكاني ثم بنيسابور على أبي المعالي الجويني، فوض إليه الوزير نظام الملك التدريس في نظامية بغداد سنة (٤٨٤ هـ)، زار العراق ومصر والشام والمغرب وله مؤلفات عديدة منها، الأحياء، البسيط. توفى بالطابران سنة (٥٠٥ هـ). (ابن خلكان، ١٩٧١، ص ٢١٦).

عنه شرح تحفته وزوجه ابنته، وكانت فاطمة من جلالتها في الفقه أن كان زوجها يخطئ ترده للصواب ، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلمّا تزوجت بصاحب البدائع كانت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها . (السباعي، ١٩٩٩، ص ١٣٣).

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج هي:

- يُعدّ علم الفقه واحداً من أهم العلوم في المشرق الإسلامي في العصر العباسي.
- ظهر علم الفقه وتطور بحسب الحاجة ولا سيّما فيما يتعلق بمعرفة أمور الحياة اليومية للناس التي تضمّنتها الشريعة السمحاء.
- ظهرت في المشرق في العصر العباسي المذاهب الفقهية التي ارتبطت بعلم الفقه وكان المذهب الشافعي هو الأشهر والأكثر انتشاراً في المشرق.
- تأثر علم الفقه بالمذاهب الفقهية التي ظهرت في الدولة في العصر العباسي فكان يتراوح بين الخلفاء والقادة بين مد وجزر. وهذا يعني إنّ علم الفقه تأثر أيضاً بالاحداث السياسية في ذلك العصر.
- تولّى الفقهاء مناصب إدارية عليا في الدولة مثل القضاء إذ كان القضاة أكثرهم من الفقهاء.
- يرتبط علم الفقه شأنه شأن العلوم الأخرى بالعلوم المساعدة وهي علم القراءات والتفسير والحديث والتصوف.
- لما كان المشرق الإسلامي يضمّ الكثير من المدن والأقاليم فإنّه كان لكل بلد من بلدان المشرق خصائص ميزت علم الفقه من غيره من العلوم.
- ظهر في المشرق الإسلامي أشهر العلماء واكبرهم في مجال علم الفقه في العصر العباسي مثل السمرقندي والماتريدي والنيسابوري والشاشي والغزالي وغيرهم قاموا بالدراسة والتدريس وتأليف المصنفات التي شكّلت موردا مهماً من موارد التراث الإنساني.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢. الاسفراييني، أبو المظفر (ت ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٣م.

٣. الاشعري، ابي الحسن علي بن عساكر (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م)، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام ابي الحسن الاشعري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٤ هـ.

٤. الاصطخري، ابي اسحق إبراهيم بن محمد (٣٤٦ هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك ، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م. وطبعة اخرى دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٥. بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٨١م.

٦. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، حقق اصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د.ت.

٧. ابن البلخي، أحمد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤م)، فارس نامه، سبعي واهتمام كي لسترنج ونيولد الن نيكلسون، كمبريج، ١٩٢١م.

٨. الثعالبي، محمد بن الحسن (ت ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، تلبيس ابليس، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

١٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م))، صيد الخاطر، بعناية حسن المساحي سويدان، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م.

١١. حسن ، أحمد محمود ، الإسلام في اسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

١٢. حسن، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب والاندلس ١٣٢-٣٣٢ هـ/ ٧٤٩-٨٤٧م)، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ج٢، ١٩٥٨م، ج٣، ١٩٦٥ و ج٤، ١٩٦٧.

١٣. ابن حوقل، أبو القاسم محمد (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م.

١٤. حيدر، د. محمد علي، الدويلات الإسلامية في المشرق، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تح: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت ، ١٩٨٨م، المقدمة طبعة بيروت، ١٨٨٦.

١٦. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧. الذهبي، د. محمد حسين ، التفسير والمفسرون، بدون مكان، (د.ت).

١٨. الذهبي، محمد بن أحمد (ـ ٧٤٨ هـ/ ١٣٣٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٣م.

١٩. الرحيم، د. عبد الحسين مهدي ، العصر العباسي الأول المؤهلات والانجازات، الجامعة المفتوحة، طرابلس، د. ت.

٢٠. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ/ ١٣٩١م)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بدون مكان، ١٩٥٧م.

٢١. الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م)، الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٢٢. الزرنوجي، برهان الدين (ت ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م)، تعليم المتعلم طريق التعلم، بدون مكان، د.ت.

٢٣. السباعي، مصطفى ابن حسين، المرأة بين الفقه والقانون، ط٧، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٤. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، ١٩٨٨م.
٢٥. السيوطي، عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)، الإتقان في معرفة علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
٢٦. الشاشي، أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥م)، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، حققه وعلق عليه د. ياسين أحمد إبراهيم درادكه، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ١٩٨٨م.
٢٧. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
٢٨. الصالح، د. صبحي إبراهيم ، علوم الحديث (الحديث ومصطلحه – عرض ودراسة)، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٩. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م)، طبقات الفقهاء الشافعية، تح: محيي الدين علي نجيب، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م.
٣٠. ضميرية، د. عثمان جمعة ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم د. عبد الله بن عبد الكريم العبادي، ط٢، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٩٩٦م.
٣١. العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م)، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣ هـ.
٣٢. الغزالي، محمد بن حامد (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م)، احياء علوم الدين ، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٣٣. ابن غيهب، بكر بن عبد الله أبو زيد (ت ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م)، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، ط٣، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.
٣٤. فامبري، ارمينوس ، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وعلق عليه د. أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له د. يحيى الخشاب، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، د.ت.
٣٥. القطان، مناع بن خليل (ت ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م)، تاريخ التشريع الإسلامي، ط٥، مكتبة وهبة، ٢٠٠١م.
٣٦. الكاساني، أبو بكر بن مسعود علاء الدين (ت ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
٣٧. لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية واضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية واثرية ووضع فهارسه بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.
٣٨. المشهداني، د. ياسر عبد الجواد ، تاريخ الدول الإسلامية في اسيا، ط١، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
٣٩. المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦م.
٤٠. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٤١. ابن النديم، محمد بن اسحق (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م)، الفهرست لايبسك. وجزء طبعة القاهرة، ١٣٤٨ هـ، ١٨٧١م.

٤٢. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩م)، تاريخ بخارا، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه د. امين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.

٤٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.